

## التقاطع الزمني في القصيدة العربية القديمة

### قصيدة امرئ القيس نموذجاً

الدكتور: الطيب بن جامعة

جامعة ابن خلدون-تيارت-الجزائر

يكشف البحث عن فكرة الزمان في القصيدة العربية القديمة، الذي يعبر تواتره المتفاوت الدلالات بين الماضي، والحاضر، والمستقبل، عن الحالة النفسية التي تنتاب الشاعر، فهو إلى الماضي أحن، لما فيه من واقعية، تشعره بالاستقرار، ويتوق إلى المستقبل، متخيلاً صورة الأمل في صيرورة الحياة التي تشعره بالاستمرار، فيتقاطع بذلك عنده الحنين إلى الماضي، بالرغبة الأكيدة بأمل المستقبل، فيحاول الخروج من زمانه المغلق، إلى زمان مفتوح، غير أن عناصر ذكريات الماضي تجتذبه، فيتذكر الربيع، وملاعب الصبا، وحركات بنات الحي بين الوادي والحي، تتناغم رنات الخلاخل في أرجلهن، ممزوجة بهمساتهن، تقابلها أطلال توحى بنهاية كل شيء فيه، حاول الهروب من الماضي، مستعينا بما توفره الأدوات اللغوية من دلالات بواسطة الأداة التي تعطيه دلالة الاستقبال، وطال انتظاره لهذا المستقبل الذي انتظره، ولم ير حركة صيرورة الحياة تتحقق عياناً فعاد إلى ماضيه مستعملاً الأداة التي تعطي المستقبل دلالة الماضي، تجاوزت الدلالة الزمنية الماضية محضة ومتحولة، الدلالة الزمنية المستقبلية محضة ومتحولة، ويمكن الوقوف عليها من خلال قصيدة امرئ القيس.

**Résumé:** Cette recherche traite de la question du temps dans la poésie classique arabe, dont le défilement entre passé, présent et futur exprime l'état psychique du poète. Un poète nostalgique d'un passé réaliste qui lui procure un sentiment de stabilité et porté sur un futur, en l'imaginant plein d'espoir et signe de continuité ; se croisent alors chez lui la nostalgie du passé et le désir certain d'espérer pour le futur, en essayant de sortir d'un temps fermé vers un temps plus ouvert. Seulement, la mémoire du passé le rattrape et il se remémore son enfance ses aires de jeux et des jeunes filles du quartier sur leur chemin vers la rivière, de leurs chuchotements mélangés au bruit rythmé et mélodieux des anneaux à leurs chevilles. Mais de l'autre côté, se dressent des vestiges du passé, témoins de la finitude de toutes choses en ces lieux. Dans sa tentative de fuir le passé, le poète fait recours aux outils linguistiques qui offrent une multitude d'interprétations. Son attente du futur s'avère longue et ne voit pas sa vie changer, il se tourne, alors, vers le passé en utilisant l'outil qui donne au futur le sens du passé. Le sens du temps passé pur et évolutif dépassant le temps futur pur et évolutif peut être perçu à travers le poème d'Imrou El Quais.

لا أبحث في مفهوم الزمان تعريفاً، وتقسيماً، ودلالة، ولا أناقش آراء العرب وغيرهم فيه، من فلاسفة ولغويين، لأن ذلك - في اعتقادي - يعود إلى اختلاف اللغات وتفاوتها في تحديد

## التقاطع الزمني في القصيدة العربية القديمة

تقسيم الدلالة الزمنية، والمقارنة بينها، ولأنه نال من الاهتمام ممن لهم باع شامل، ورؤية فاحصة للموضوع.

وإذا اكتفيت بتناوله في القصيدة العربية توظيفا، محاولا إحصاء الدلالة الزمنية الماضية والمتحولة، والدلالة الزمنية المستقبلية والمتحولة، كبعد دلالي يعكس موقف شعراء المعلقات السبع من الزمن الذي يتجاذبه الماضي الذي يعد جزءا منه، والمستقبل الذي يتوق إليه، عله يكشف حقيقة ما يخبئه له.

يعايش شاعر المعلقات تجربتين، أولاهما واقعية وثانيهما متخيلة، فتارة يسمو به خياله من واقعه المرئي- الذي تجسده الذكريات الجميلة التي تحولت - إلى نوع من التراجيديا، ولم يبق منها إلا صور تصارع الزمان، إلى واقع يحاول أن يشكله تشكيلا يعكس ما تصبو إليه نفسه، ويميل إليه طبعه، ويرسم من هذا كله مشهدا يحقق له رغبة الاستمرار.

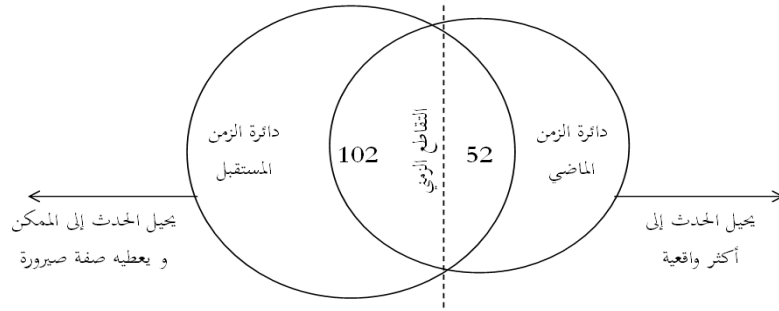
إن المتتبع لحركة الزمان في السبع المعلقات، يجد الزمان فيها يتحرك على مستويين متقاطعين، الماضي بكل زخم أحداثه، والمستقبل بكل آماله، يفصل بينهما حاضر يمتد وضعا إلى المستقبل، فصيغة فَعَلَ قد تنتقل إلى صيغة يُفَعَلُ مع أدوات الشرط والتي أطلقت عليها مصطلح "الماضي المتحول"، وتفيد أيضا دلالة القطع والتأكيد والتثبيت، « ينصرف الفعل الماضي إلى الدلالة على الاستقبال مع أغلب أدوات الشرط (...) لأن أدوات الشرط قد تدخل على الفعل الماضي فتنتقله إلى الاستقبال»<sup>(1)</sup> وصيغة "يفعل" قد تنتقل إلى صيغة "فعل" فتفيد الماضي عندما تتضام بالأداتين "لم ولما" والتي أطلقت عليها مصطلح المستقبل المتحول، « فاستعمال المضارع في الماضي التفات ذهني ينزل أحداث المستقبل المؤكد وقوعها منزلة أحداث الماضي الواقعة فعلا»<sup>(2)</sup> والوقوف على حقيقة التفعيل الدلالي للزمان، ماضيا ومستقبلا، محضا ومتحولا، لا بد من الوقوف على إحصاء هذه الدلالة في المعلقات، ويظهر ذلك في الدائرة الزمنية المبينة لإحصاء الأفعال المتحولة ماضيا واستمرارا.

وبنظرة حسابية، يمكن الوقوف على فضاء دائرة الزمن المستقبلية التي يتسع إلى ضعفين عن فضاء دائرة الزمن الماضية، وهذا يحيل إلى بديهية ارتباط النفس البشرية بالأمل، على الرغم من ثقل ذكريات الماضي الذي يجسده فراغ المكان، الذي يجعل الشاعر الجاهلي يغيب في أحلام يقظة هائمة، أو يسفره الوجد الذاتي إلى عالم يقطع بينه وبين اجترار الأحزان التي تمثلها بقايا الأطلال التي يطغى مشهدها على ما تبقى من حياة تصارع الفناء، «والفناء ليس فيه خطاب، والخطاب في حال الفناء لا يصح، لأن فائدة الخطاب أن يعقل»<sup>(3)</sup>

وعلى الرغم من خلو الربيع من مكونات الحياة، يشعر الشاعر بأن الحياة فيه أعمق جذورا من الموت، لأن التعبير الحسي ينفذ إلى العواطف، لذلك اختار شعراء المعلقات العناصر التي لا تقبل الزوال، ليكون أقدر على مواجهة الاغتراب الذي يصنعه الفناء، كالوشم، والنوي، والأثافي، وغيرها من العناصر التي يسعى إليها لتؤنسه، وهي أيقونات تمثل للشاعر الجاهلي فسحة من أمل الاستمرار، لذلك لا يستطيع الارتحال، وهو طبع حياته، دون أن يجلس إليها يذكرها أو تذكره بالمصير المحتوم الذي طالما ضايقه، ويضايقه في الحل والترحال. بالرغم من اتساع الفضاء، وكأنه يدفع به إحياء - من خلال الأطلال - إلى استغلال ما تبقى من العمر، فالزمن بهذا المنظور مرادف للسعادة، وهو ما كان يسعى إليه الشاعر، يستعيد أمله الضائع مستعينا بما توحى به ما تبقى من أثر الحياة في الربيع.

ولعل هذا ما يجعل نسبة فسحة الأمل تتجاوز نسبة فسحة الفناء في الدائرة الزمنية

المبينة في الشكل التالي:



تطبع النص الإبداعي الذي يعيش الماضي نبرة الاستقرار، لأن الزمن فيه ساكن، ولم يبق فيه من عناصر الحركة غير التيار النفسي الراجع بفعل أثر الحنين، فهو يحيل الحدث إلى أكثر واقعية ويعطيه صفة ما حدث، ويلقي عليه قدرا من الإقناع الوجداني، بما صار إليه المكان العامر، ورحيل من ارتبط بهم، أما النص الذي يعيش المستقبل فإنه يرسم على صورة الأمل، ويحيل الحدث إلى الممكن، ويعطيه صفة صيرورة الحياة.

إن القصائد العربية القديمة مبنية داخل فضاء بين زمنيين متقاطعين تقاطعا متعاكسا، يبدو الأول مغلق المجال لواقعية حدثه، ويبدو الثاني مفتوح المجال لدينامية حدثه، وبينهما دلالات مثقلة بذكريات الماضي، وطموح المستقبل، تتجسد في تقاطع الماضي المتحول

## التقاطع الزمني في القصيدة العربية القديمة

بالمستقبل المتحول فتتجاوز فيه الأفعال الماضية حدود حدثها، وتراجع الأفعال المستقبلية عن حدود حدثها ليتم التقاطع المتعكس.

المتبوع لحركة الزمن في القصيدة العربية القديمة، يجد زمنها يتحرك على مستوى محورين متقاطعين، الماضي بكل زخم أحداثه، والمستقبل بكل آماله، يفصل بينهما حاضر يمتد إلى المستقبل وضعا، يضع هذا التحرك الشاعر بين حضور وغياب أي بين الحياة والموت، تنتابه لحظتان وجوديتان «الماضي زمانا من غير انعدام، والحاضر مكانا من غير انقضاء، فالماضي زمانا يغيب لغة حتى لا حضور، والحاضر مكانا يجليه نصا حتى لا غياب»<sup>(4)</sup> وبين الماضي والحاضر، وبين الغياب والحضور، يستعين الشاعر ببصيص أمل المستقبل عله يتخلص من قيد الماضي باستعمال صيغة يفعل يقول مالك يوسف المطلي: «... صيغة يُفَعْلُ تنطوي على دلالة التجدد (... ) ومن دلالة هذه الصيغة (... ) الاستمرار»<sup>(5)</sup>

ويضيف موضحا دلالة صيغة فَعَلَ بقوله: « إن حدثَ فَعَلَ متجدد، مقطوع به، أي حدث متحرك، له دلالة القطع، أو التأكيد أو التثبيت»<sup>(6)</sup> هذا التقاطع، يحدد حركية القصيدة، التي تستحضرها الدلالات الزمنية للفعل الماضي في افتتاحيات المعلقات الثلاث، "عفت الديار" للبيد، و"هل غادر الشعراء" لعنترة و"أذنتنا ببيتها أسماء" للحارث بن حلزة.

هذه الحركية تجسد الأفعال، "عفت"، "غادر"، و"أذنت" والتي يمكن الوقوف عليها وعلى المعجم الزمني الذي حدد مسارها، وألقى ضوءا مجهريا مباشرا على الفضاء الزمني الذي تجري فيه أحداث هذه القصائد، والدلالة الزمنية المستقبلية، التي تفيد الاستمرار، "قفا نبك" لامرئ القيس و"هي بصحنك" لعمر بن كلثوم.

هذه الحركة الزمنية المستقبلية، تعطي تجديدا دلاليا لما تحمله من معنى الاستمرار الذي يعني الأمل، ولو أمعنا النظر في القصائد السبع لوجدناها تتسم بالحركية في افتتاحياتها، ما عدا معلقتي طرفة وزهير، ولعل هذا ما يفسر معايشة الشاعر العربي لغيابيين أولهما يمكن استحضاره "الماضي" وثانيهما يتوقع حضوره. ويمكن أن تضاف أشباه الأفعال إلى الحركية الزمنية، التي تتعلق وظيفتها الزمنية بالسياق كاسم الفاعل، واسم المفعول، وغيرها من أشباه الأفعال، والألفاظ الدالة على الزمن. (كالدهر) و(الزمان) و(اليوم).

هذه الألفاظ تفيد الزمن معتمدة على السياق، « تدل المصادر والأفعال والصفات على الحدث، لكن دلالة كل منها تختلف عن دلالة الآخر فالمصادر تدل على الأحداث إلا أن الزمان لا يستفاد منها، ومن هنا كانت صلتها بالحدث صلة الاسم بالمسمى »<sup>(7)</sup>

ويضيف مبينا دلالة الفعل بقوله: « أما الفعل فيدل على حدث وزمان معا أي أن دلالته على الحدث دلالة اقتران »<sup>(8)</sup>

يؤكد تمام حسان خاصية الفعل. « إن الأفعال تدل على الزمن بصيغتها دلالة وظيفية صرفية مطردة، وبهذا يختلف عن الصفة التي لا تتصل بمعنى الزمن إلا من خلال علاقات السياق، فدلالة الصفة على الزمن من وظيفة السياق لا وظيفة الصفة »<sup>(9)</sup>

يضيف ثامر سلوم مبينا دلالة الصفات بقوله: « أما صلة الصفة بالحدث فهي كما ذكرنا من قبيل دلالة الموصوف على الحدث لا الحدث نفسه »<sup>(10)</sup> ولم يستثن الأسماء إذ من مميزاتها: « أن الزمن ليس جزءا من معناها أو هي لا تدل عليه (...) ما عدا المصادر عندما تدخل في علاقات سياقية»<sup>(11)</sup>

لقد تم التركيز على الأفعال، لتوفرها على طاقة تفعيل النشاط الدلالي دون الاعتماد على السياق، والاكتفاء بالإشارة إلى أحداث الأسماء، أو شبه الفعل، التي تشاركها في الحدث دون الزمن، وهذا يتطلب الوقوف على التوظيف الزمني في كل معلقة من المعلقات السبع لمعرفة معاشة الشاعر له، نكتفي بقصيدة امرئ القيس كنموذج

لما يمثله الشاعر من مكانة، ولما تمثله القصيدة من قيمة فنية، ما زالت أقلام النقاد، من مختلف المدارس النقدية تجد الإضافة الدالة على ما يتوفر عليه المخزون الفني الذي يجعل القصيدة القديمة تنبض بالحياة التي يقف منها الشاعر متوجسا.

توظيف الزمن في معلقة امرئ القيس: يستقرأ من الدلالة الزمنية الماضية والدلالة الزمنية المستقبلية (محضة ومتحولة) في معلقة امرئ القيس الحالة النفسية التي يتقاسمها الماضي المغلق من حيث حدثه، والمستقبل المفتوح من حيث حدثه.

فواقعية الأول يجسدها رجح الحنين، واستمرار الثاني يحققه الأمل، ويبرزان في تفاعل الدلالات الزمنية ماضية ومستقبلية، محضة ومتحولة، في قوله<sup>(12)</sup>:

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا	نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيَا الْقَرْنُفَلِ
إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ	بِشَقِّ وَتَحْتِي شَقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ
وَإِنْ تَكَ قَدْ سَاءَتْكَ مِيَّي خَلِيقَةٌ	فَسَلِّي تِيَّاي مِنْ تِيَّابِكَ تَنْسَلِ
وَإِذَا مَا التُّرَيَّا بِالسَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ	تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوَشَاحِ الْمُفْصَلِ
إِذَا التَّفْتَتَتْ نَحْوِي تَضَوَّعَ رِيحَهَا	نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيَا الْقَرْنُفَلِ
هَصَرْتُ بِقَوْدِي رَأْسَهَا فَتَمَائِلْتُ	عَلَيَّ هَضِيمَ الْكُشْحِ رِيَا الْمُخْلَجْلِ
وَجِيدٌ كَجِيدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ	إِذَا هِيَ نَصَّتُهُ وَلَا بِمُعْطَلِ

## التقاطع الزمني في القصيدة العربية القديمة

إِلَى مِثْلِهَا يَرْئُو الْحَلِيمُ صَبَابَةً إِذَا اسْبَكَبَتْ يِنَّ دِرْعٍ وَمَجَوْلٍ  
فَقُلْتُ لَهَا لَمَّا عَوَى إِنَّ شَأْنَنَا قَلِيلُ الْغَيْىِ إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوْلٍ

فالدلالة الزمنية في (تضوع) وانصرفت و(كنت) و(تعرضت) و(التفتت) و(قلت) و(نصته) و(استكبرت) (لم يحول) المسبوقه بأداتي "إن" "وإذا" (إذاقامتا) (إن تك) (تنسل) (سلي) (يرنو) (لما تحول) تبين مدى ارتباط الشاعر بالحياة، وإن كان الواقع المادي الذي يراه ويحسه يمثل عكس ما يرغب فيه، ويعود إلى الماضي الذي تجسده الدلالات الزمنية المتحولة (الميعف) (لم يحول) كمؤشر دلالي معادل لما يجسده هذا الماضي من حضور في وعي الشاعر في قوله<sup>(13)</sup>:

فَتَوْضَحُ فَاَلْمُقْرَاةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمَهَا إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ  
بِشَقِّ وَتَحْتِي شَقِيهَا لَمْ يُحْوَلِ عَلَيَّ وَآلَتْ حِلْفَةً لَمْ تُحَلَّلِ  
وَتُضْحِي فَتَيْتَ الْمَسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا نَوْوْمُ الضُّحَى تَنْتَطِقُ عَنْ تَفْضَلِ  
فَقُلْتُ لَهَا لَمَّا عَوَى إِنَّ شَأْنَنَا قَلِيلُ الْغَيْىِ إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوْلِ  
فَأَلْحَقْنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ دِرَاكًا وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ  
وَتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جَدْعُ نَخْلَةٍ وَلَا أَطْمًا إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلِ

فالدلالة الزمنية المتحولة بالأداتين "لم" و"و" "لما" (يعف) و(يحول) و(تحلل) و(تنطق) و(تحول) و(تزيل) و(ينضح) و(يترك) تدل على أن الماضي جزء من إحساس الشاعر الذي يعيش به، وهو ما يفسر حضور الماضي الذي يشد مشاعر الشاعر إليه على الرغم من توفقه إلى المستقبل الذي يفيدته الفعل "ففا" و"نبك" فيهما حركة زمنية دالة على الحاضر والمستقبل، مما يجعل التقاطع الزمني استمرارا تقاطع سلب (-) وتقاطع إيجاب (+) في قوله<sup>(14)</sup>:

قِفَا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسَقْطِ اللَّوَى يِنَّ الدَّخُولِ فَحَوْمِلِ

إذا كان الماضي مرجعية الشاعر، يتكئ عليه للوصول إلى مكاشفة الحقيقة التي كان وقعها عليه شديدا، أثرت فيه إلى حد البكاء، وهو الذي كونت الحياة فيه الصلابة، وهيأته بقدرة، يستعين بها على مواجهة الصعاب، ولعل منظر مشهد الطلل كان أكثر من أن تتحملة قدرة بشر، فاستمطر عينيه دمعا، لأنه ربما لم يجد بعد حياته أغلى من دمع عينيه تأبيننا وعزاء. يتجسد ذلك في قوله<sup>(15)</sup>:

فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِيَّ صَبَابَةً عَلَى النَّخْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحْمَلِي  
وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ أَعْشَارَ قَلْبٍ مُقْتَلِ

وَلَيْلَ كَمْوَجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَى بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي  
فَظَلَ الْعُدَاةَ يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ الْمُفْتَلِ  
تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَيْبُ بِنَا مَعًا عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا أَمْرِي الْقَيْسِ فَأَنْزِلِ  
فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَارْجِي زَمَامَهُ وَلَا تُبْعِدِينِي عَنْ جِنَاكِ الْمُعَلِّ  
إن تقارب التوظيف الدلالي للأفعال بين الماضي والمستقبل تؤكد حقيقة الانفعال النفسي الذي رافق الشاعر في درب حياته، تجسده دلالة الألفاظ (دموع العين)، (صباية) (ذرفت)، (تضرب)، (أرخى)، (يبتل)، (ترتمين)، (مال)، (عقرت)، (أنزل)، (سيري) (أرخي)، (لا تبعديني).

فهذه العلامات تشير إلى عمق التأثير، والحالة النفسية المضطربة، التي يدل عليها تكرار الفعل (قال) في المعلقة سبع مرات، ثلاث منها بصيغة "قلت"، محاورا الذئب والليل والحببية، واثنان بصيغة "قالت" التي تعني الدعاء، وواحدة بصيغة "تقول" و"يقولون". يهدف هذا الحوار المتنوع في سياق الإخبار إلى الإقناع الذي تجسده الدلالات الزمنية في فعل القول المتنوع الضمير بين (أنا) و(هي) و(هم) يمثل الزمان بين - قال، ويقول، وبين الضمير أنا، وهي، وهم - الحالة النفسية للشاعر المضطربة بين الزمان الواقعي، والزمان الممكن، ويتضح من قراءة نسب الجدول التالي دوران الزمن الماضي والمستقبل الذي يبين حقيقة الصراع النفسي الذي طبع حياة الشاعر.

الماضي المحض	المستقبل المحض	النسبة	الماضي المحض	المستقبل المحض	النسبة
63	08	%50,71	16		%49,28

إن دوران الأفعال المبينة في الجدول تكشف عن تعلق الشاعر بماضيه الذي تمثله ملاعب الصبا، وذكرى الحببية، ومعاقرة الخمر، ويحلم في الوقت نفسه بالمستقبل، الذي يحقق به استرجاع مكانته في القبيلة، وكسب رضاها، ولذا جاءت الدلالات الزمنية - ماضيا ومستقبلا- متقاربة.

فالماضي لا يحقق له الارتياح عن شواغله المستورة وراء المستقبل مما يزيد نفسيته اضطرابا لا ينتهي عند حد تحيل إليه الدلالات الزمنية في قوله<sup>(16)</sup>:

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ  
فَقَاصَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً  
بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ  
عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِي مَحْمَلِي  
وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِنَضْرِي  
بِسَهْمَيْكَ أَعْشَارَ قَلْبِ مُقْتَلِ

## التقاطع الزمني في القصيدة العربية القديمة

وَلَيْلُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِيَبْتَلِي  
فدلالة (نبك)، (ذكرى)، (حبيب)، (فاضت)، (دموع)، (صبابة)، (دمعي) (ذرفت)،  
(تضربي)، (بسهميك)، (قلب)، (أرخی)، (سدوله)، (الهموم)، (يبتلي) كلها تدل على الحالة  
النفسية التي تنتاب الشاعر وكأن حياته أشبه بليل، ولم يبق له غير الصبر الذي يفهم من دلالة  
(يبتلي)، كعلامة سميائية، ويضيق صبرا فيتوسل إلى الليل وهو يعلم أن الصبح لا يفرق عنه  
كثيرا، ويقول<sup>(17)</sup>:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي بِصُحْبِ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمَلِي

وما يلت الانتباه، هو دلالة المستقبل المتحول إلى الماضي بنسبة تصل إلى النصف، هذا  
يعني أن الدلالة المستقبلية تتميز بدينامية التحول الرجعي للماضي الذي يشد الشاعر أكثر من  
دينامية المتحول استمرارا إلى المستقبل لأن الماضي يستحضره الشاعر، ويستحضره حين يشاء،  
ويستقطع منه ما يشاء.

يتضح من الجدول حضور الماضي المثقل بالأحداث، ليسيطر على مشاعر الشاعر بالرغم  
من توقه إلى المستقبل الذي يفيد الفعل "قفا، نبك" في مطلع صدر بيت المعلقة، فهما حركة  
زمنية دالة على الحاضر والمستقبل مما يجعل التقاطع الزمني استمرارا تقاطع سلب (-) وتقاطع  
إيجاب رجعا (+) وهذا ما يؤكد حضور الماضي الذي يرسم علاقة تحتاج إلى تفكيك أعمق  
وأدق للوقوف على حقيقة البعد الزمني في فكر امرئ القيس.

و لعل منظر مشهد الطلل كان أكثر من أن تتحملة قدرة بشر، فاستمطر عينيه دمعا،  
لأنه . ربما. لم يجد بعد حياته أغلى من دمع عينيه تأبيننا وعزاء. والبيت التاسع من المعلقة يشير  
إشارة دقيقة إلى ذلك<sup>(18)</sup>

فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً عَلَيَّ النَّخْرَ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحْمَلِي

يبقى تفسير حضور الزمن في فكر الشاعر العربي القديم من العلامات المثيرة، والبحث  
فيه صعب القياس، لارتباطه بالحالة النفسية، فالماضي جزء من حياة البشر، ولكن الشعور  
به يتفاوت بين الإنسان العادي والشاعر فهو لا تفوته لحظة دون أن يرسم توجسه من  
المستقبل، والبكاء على الأطلال في مطلع القصيدة يكشف الحقيقة التي تجسدها العلامات  
الدالة على الفناء، وأن مصيره شبيه بالريع الذي خلا من حركية الحياة، وهيمن المشهد على  
وعي الشاعر، والتمس الشفاء من عبرات عينيه، وهو يعلم أن الدموع قد تخفف ولا تشفي.  
وهيمنة الماضي هي التي تجعل المستقبل يختفي، والواقع يوحي أن هناك حاضر للأشياء  
الماضية، وحاضر للأشياء الحاضرة وحاضر للأشياء المستقبلية، وبالرجوع إلى اللغة الشعرية



الشفافة توحى بتلون الزمن بالحالة الوجدانية التي تنتاب الشاعر، فيتأثر بما يعانيه من ضياع واغتراب عندما يصطدم بحقيقة الزمن كقانون ينظم الحياة والموت.

ما يستخلص من رؤية الشاعر العربي لحتمية اسمها الزمان حقيقتان :

أولاهما: إن كل ما يحيط به يتضمن فكرة الزمان، وإنه نظام تمارسه الطبيعة على الأشياء، ولا يستطيع الخروج من قبضته، لأن ديناميكية الاختلال فيه أقوى من إرادته، لذلك نجد معظم شعراء القصيدة العربية القديمة، يرضى بما يطلق عليه بالزمان النفسي «فالزمان النفسي يذكره بالماضي الذي يتسع فيه الكون، وتضيق فيه دائرة وجوده»<sup>(19)</sup> في حين يبقى الزمان الديناميكي يطبع حياة الإنسان بالاختلال نتيجة عدم قدرة الإنسان على التوفيق بين النظام الطبيعي والرغبات.

- يتفاعل الإنسان (الشاعر) مع الزمان باعتباره نظاما كونيا، يتسع، ويفسح المجال للتواصل مع هذا النظام الكوني، الذي تشكله - إضافة إلى الجماد - كل المخلوقات، وهو ما يجعل تحقيق هذا التفاعل «... أخف وألطف من الفعل الواقعي»<sup>(20)</sup> الذي عايشه الشاعر معايشة تأثير وتأثر.

ثانها: إن الزمان يتجلى أثره مجسدا في الكائنات كمرجعية، ويكون شاهدا في الغياب على تراكم الماضي ويسجل الحضور في نفس الوقت باعتباره علامة، تدل، وتحدد، وتصف، وتنظم «الزمان مجسد في الكائنات والأشياء، دال عليها، ومحدد لعمرها، واصف لأحوالها، ناظم لإيقاعها»<sup>(21)</sup> كأن الشاعر استوحى نظام القصيدة من نظام الزمان، الوقوف، والفخر، والوصف، والمدح.

إن محاولة فهم الزمان من خلال مرجعية النص الشعري القديم يبقى من أعرس العلامات إدراكا، ومن أعجب الأسرار شأنا وبخاصة عندما يتمهى في اللغة، وتتماهى دلالاته في النفس، بين الراحة والقلق، والرغبة والحنين، يتيه الشاعر في مشهد الزمان الممتد بين الوقوف (قفا نبك) ومشهد التشبيه (كأن السباع غرقى) وكأنه يمضي شهادة وفاته عله ينجو من قيد الزمان.

#### مراجع البحث وإحالاته:

1. عبد الله بوخلخال. التعبير الزمني عند النحاة العرب. " منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري" دراسة في مقاييس الدلالة على الزمني في اللغة العربية وأساليبها. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. د.ت. ص. 59

2. المرجع نفسه. 64/1

## التقاطع الزمني في القصيدة العربية القديمة

3. محي الدين بن عربي. كتاب المعرفة. تح. محمد أمين أبو جوهرة. التدوين للطباعة والنشر. ط2. 2008. ص68
4. منذر عياشي. الكتابة الثانية وفاتحة المتعة. المركز الثقافي العربي. ط1. س. 1998. ص. 96-97
5. مالك يوسف المطليبي. الرمز واللغة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1986. ص. 69
6. المرجع نفسه، 68/ 69
7. ثامر سلوم. نظرية اللغة والجمال في النقد العربي. دار الحوار للنشر والتوزيع. سوريا. 1983. ص. 67
8. المرجع نفسه، ص. 67
9. تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. عالم الكتب. ط3. 1998. ص. 107
10. سلوم. نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ثامر ص. 67
11. ثامر سلوم. نظرية اللغة والجمال في النقد العربي. ص. 67
12. الديوان، امرئ القيس. ضبطه وصححه مصطفى الشافعي. دط. دت، ص. 111
13. المصدر نفسه. ص. 118
14. المصدر نفسه. ص. 110
15. المصدر نفسه. ص. 113
16. المصدر نفسه. ص. 117
17. المصدر نفسه. ص. 117
18. المصدر نفسه. ص. 114
19. ستيفن هوكنغ، تر، عبدا لله حيدر. أكاديميا. ط1. 1990. ص. 169
20. غستون باشلار، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ط4. 2010. ص. 30
21. عبد المالك مرتاض. النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟. ديوان المطبوعات الجامعية. 1983. ص. 48